استذكارات

الكتاب النقدي الاول

استكملت طباعة جسد كتابي النقدي الاول في القصة العراقية في ايلول ١٩٦١ في مطبعة اتحاد الادباء التي كانت موجودة مكان غرف الاطعمة المجاورة للقاعة الكبيرة حالياً.

كان اليوم هو الاثنين وكنت أناقش مدير المطبعة وأمين صندوق الاتحاد آنذاك الأستاذ الفريد سمعان في موضوع الغلاف عندما دخل علينا الاستاذ بلند الحيدري ليرى جسد الكتاب بيدي فقال " مبروك والمهم ان يكون الغلاف فاخراً او معبراً" فقلت " فاخراً يعني فلوساً اكثر يا ابا عمر"، ضحك وقال" قبل الفلوس التصميم" واعتبر ابو عمر رحمه الله الغلاف قضيته واتصل بالصديق محمد سعيد الصكار واعطاه الفكرة هاتفياً لكنه لم يقتنع وجلس في انتظاره في اليوم التالي لنتقابل ويرى المادة النقدية .. لن اطيل عليكم فبعد ايام صمم الصكار غلاف الكتاب وكان غلافاً جميلاً من الاغلفة الاولى التي صممها هذا الفنان الكبير وحملناه، بلند الحيدري وانا عصر يوم اخر الى شركة الطباعة في الصالحية التي كان يديرها الاستاذ مير بصري ولم اكن قد رايته سابقاً، صعد معنا في (الفولكس واكن) الصغيرة التي يملكها ويقودها الحيدري الاستاذ جميل الجبوري الذي كان جالساً قرب الحيدري واستأذن النزول في ساحة التحرير وعندما ودعنا وذهب بقيت في مكاني في الخلف فلم يتحرك بلند الحيدري ونظر الي شبه غاضب وقال " تفضل واجلس قربي فلست سائقاً للخلفكم" فقمت وجلست جواره وقد تعلمت درساً في اتكيت الجلوس في السيارة لم انسه ابداً.

في المطبعة استقبلنا الأستاذ مير بصري مرحباً وكنا على عجلة في تنفيذ الغلاف بلونين عدا الابيض وبعد مساومات مستحية اتفقنا على ان يكون سعر الطبع عشرة دنانير انزل منها بصري دينارين اكراماً للحيدري.

بعد اسبوع انتهى طبع الغلاف وحملته الى مطبعة اتحاد الأدباء ليرزم مع جسد الكتاب وهكذا ظهر (في القصة العراقية) بجهد اساتذة اجلاء أسهموا حباً ورعاية في الاهتمام باصداره هم والاستاذ سمعان، وصار لذلك الكتاب (الذي يعد الثاني في نقد القصة العراقية الحديثة بعد كتاب عبد القادر حسن امين) شأن مازلت أجني ثماره.. والحمد لله.

باسم عبد الحميد حمودي

مع سارتر.. ضد سارتر

كان في الثانية من عمره حين توفي والده. المهندس البحري. في الهند الصينية. سيقول فيما بعد؛ (حسناً فعل بموته المبكر، وإلا كان كتم على أنفاسي وحطمني).. ولما تزوجت أمه، ويومها كان في الحادية عشرة، كفله جده. وبعد تخرجه من مدرسة المعلمين العليا اشتغل مدرساً للفلسفة وتم استدعاؤه للتجنيد عشية الحرب العالمية الثانية فوقع في أسر الألمان غير أنه هرب من معسكر الاعتقال عائداً إلى باريس بعد توقيع اتفاقية استسلام فرنسا لألمانيا. وفي هذه الآونة انضم إلى المقاومة السرية ونشر كتباً عديدة أشهرها رواية "الغثيان" ومسرحية " الذباب" والكتاب الفلسفي "الوجود والعدم".

سارتر

سعد محمد رحيم

وفي أعقاب الحرب أصدر مجلة "الأزمنة الحديثة" كما أصدر صحيفة "اليسار" نصف الشهرية، وتحوّل مع زميلته (سيمون دي بوفوار) إلى ظاهرة ثقافية وسياسية تعدى تأثيرها حدود فرنسا إلى ما ورائها. وكان لمواقفهما الشجاعة والصريحة من المسائل الحيوية المعاصرة صداها العالمي لاسيما فيما يتعلق بقضية الجزائر، وقضية المجر وربيع براغ. وفي أثناء ثورة الطلاب ١٩٦٨ في فرنسا كان محرضاً وقائداً، وقد جرى اعتقاله فتدخل ديغول لإطلاق سراحه هاتفاً بجملته الشهيرة (كيف يمكنكم اعتقال فرنسا؟!). وكان من أبرز من أثر فيه هيجل وماركس وهوسرل وهيدجر، لاسيما ماركس والماركسية.. يقول؛ (إن كتاباً ماركسياً جيداً واحداً هو فرصة، لكل واحد منا، كيما ينجح في كتابه القادم).

استطاع جان بول سارتر إنزال الفلسفة من برجها العاجي إلى الشارع. وبدا أن قطاعاً واسعاً من الشباب المتمرد والرافض لقيم المجتمع البورجوازي قد وجد فيه، وفي فلسفته، على الرغم من أنها لم تكن مبسطة، ويكتنفها شيء من الغموض، ملاذاً، لا في فرنسا وحدها، وإنما خارجها أيضاً، وربما كان مرد ذلك الى أن تلك الفلسفة كانت لصيقة إلى حد بعيد بالحياة والذات الإنسانية، وبقيم الحرية والمسؤولية والالتزام الأخلاقي. وسواء أراد أم لم يرد فإنه عومل كما لو كان نبياً أو قديساً من قبل مجموعات من الشباب الغارق في اليأس والباحث عن أفق للأمل والخلاص، فهل شكل سارتر، أيضاً، أساساً لواحد من أوهام القرن التي تساقطت تباعاً؟.

إن مآسي الحربين العالميتين، ومناخ اليأس والعدمية ساعدت على انتشار الوجودية في أوربا لاسيما في فرنسا وألمانيا وإنكلترا والنمسا، وكذلك في أميركا حتى وصل بتأثيرها إلى بعض عواصم العالم الثالث ومنها بلداننا العربية. وقد تصوّر كثر من المراهقين الوجودية، كما طرحها سارتر، على أنها الإباحية والفوضى الأخلاقية والتحلل من القيم والأعراف واللامبالاة. وغالباً ما أخذ هؤلاء من الوجودية كما فهموها جانبها السلبي الذي ينقض ما هو واقع أو موروث أو متعارف عليه من دون بدائل بناءة مثل تلك التي حلم بها سارتر نفسه.. وعلى وفق هذا صارت الوجودية موضة ذلك العصر.

يقول كليمان روسيه/ وهو من أبرز مناوئي سارتر: (بصراحة، لم أفهم أبداً لماذا وكيف اتخذت الوجودية المنطلقة من "الغثيان" لسارتر بسرعة مصيراً مبدئياً وسياسياً جعل من سارتر بوقت قصير رجلاً مشهوراً يعرفه الجميع إما للاحتفاء به أو لشجبه، مناضلاً يملك الحقيقة ولا يشك في شيء، مصدراً لدروس اجتمعت فيها السيئات والهفوات، قاضياً لم يسلم منه الكثيرون " فكل عدو للشيوعية هو كلب"، مع تبنيه القضايا الأكثر شكاً إن لم تكن الأكثر إجراماً).

إن سارتر جزء مهم من ذاكرة الثقافة العالمية في القرن العشرين، ولعله أكثر مفكري ذلك القرن إثارة للجدل، فقد وجد له مريدين كثراً فبيعت من روايته "الغثيان" في سبيل المثال، أكثر من ستة ملايين نسخة، لكنه بالمقابل واجه خصوماً لدودين سواء في داخل فرنسا أم خارجها.. كان هناك الشباب المتمرد والغاضب الذي يرتاد مقاهي باريس، وهؤلاء في الغالب لم يكونوا قد قرأوه جيداً، أو فهموا اللغز العميق لفلسفته، لكنهم كانوا مسحورين به وبرفيقته دي بوفوار. وهناك قراء مجلة "الأزمنة الحديثة" الذين حاولوا اقتفاء أثر أفكاره التي حلم هو . سارتر. بمؤسستها من خلال حزب يساري، غير شيوعي، ولم يفلح. وكان ديدنه وضع برنامج للإصلاح الاجتماعي يدمج بوساطته البروليتاريا الفرنسية بالهيكل السياسي الوطني خارج إطار الحزب الشيوعي الفرنسي فأسس التجمع الثوري الديمقراطي ولم يحقق هذا التجمع أهدافه، وإذ ذاك حاول التصالح مع الحزب الشيوعي بعد أن اقتنع بأن ذلك الحزب هو القادر الوحيد على تمثيل البروليتاريا وتحقيق الفعل الاجتماعي، وهنا حاول التأثير في سياسة هذا الحزب، ورأى أن العداء للشيوعية سيكون مناسبة لخدمة عناصر اليمين في فرنسا. وعند هذه النقطة حصلت القطيعة بينه وبين صديقه ألبير كامو الذي رأى الخطر المميت في أي شكل من أشكال التواطؤ مع الشيوعية.. يقول جرمين بري في كتابه عن ألبير كامو؛ (كلا الرجلين كان مخلصاً. فلا سارتر ولا كامو كان يضمر في نفسه مطامح شخصية، وكلاهما معني بالمشكلات نفسها عن إخلاص. بيد أن بينهما خلافاً فكرياً أساسياً، فسارتر مع رفضه لأسس الماركسية الفلسفية، يقبل التأويل الماركسي للجبرية التاريخية، وكامو يرفضها)).

كان سارتر مرفوضاً من قبل اليمين الفرنسي الذي حملت جماهيره لافتة في إحدى تظاهرات العام ١٩٦٠ المنددة بفكرة استقلال الجزائر وتحريره من الاستعمار الفرنسي.. كانت تلك اللافتة تقول بصريح العبارة (أطلقوا النار على سارتر). ورأى فيه الحزب الشيوعي الفرنسي بورجوازياً متشائماً فوضوياً مثالي الفكر يثبط عزيمة الطبقة العاملة. فيما حاربه المتشددون الدينيون بدعوى كونه ملحداً وداعية يحث على التحلل الأخلاقي. وفي معظم الأحوال كان ثمة سوء فهم مؤسف من قبل كثر ممن ذكرناهم . من معه ومن ضده . لأفكاره ومواقفه.

في الجزء الأول المعنون (الأدب الملتزم) من سلسلة "مواقف" التي احتوت على مقالاته المنشورة، في دوريات مختلفة تبحث في شؤون الفكر والسياسة والمجتمع، يعدد سارتر بعضاً من الانتقادات والاتهامات الموجهة إليه من قبل أشخاص ينتمون إلى اتجاهات متنافرة (كتب شاب سخيف: إذا كنت تريد أن تلتزم، فماذا تنتظر لكي تنتسب إلى الحزب الشيوعي؟. وقال لي كاتب كبير، ملتزم حيناً وغير ملتزم أحياناً، لكنه نسي ذلك: إن أسوأ الفنانين هم أكثرهم التزاماً، انظر إلى الرسامين السوفيات. وتشكى ناقد هرم بهدوء: أنت تريد أن تغتال الأدب. إن احتقار الآداب الجميلة واضح إلى حد وقح في مجلتك. ويصفني ذو عقل صغير بذي الرأس العنيد، ومن الواضح أن هذا أسوأ شتيمة في رأيه. ويأخذ عليّ مؤلف وجد صعوبة في جر نفسه من حرب إلى أخرى، اسمه يوقظ أحياناً ذكريات ذابلة لدى الشيوخ، إنني لا أهتم بالخلود، إذ هو يعرف، شكراً لله، عدداً من الناس الشرفاء، الخلود أملهم الرئيسي، ويرى صحفي أميركي أن خطيئتي هي أنني لم أقرأ قط برغسون أو فرويد، أما بالنسبة إلى فلوبير، الذي لم يلتزم مطلقاً، فيبدو أنه متسلط عليّ كما يتسلط على الإنسان تأنيب الضمير).

لا أحد اقرب إلى سارتر من سيمون دي بوفوار ولقد عاشا معاً مذ تعرف عليها في فترة تلمذته في العام ١٩٢٩، وكتبت عنه مراراً إبان حياتهما المشتركة، وبعد موته أصدرت كتابها "وداعاً سارتر"، عدّه النقاد بمثابة تصفية حساب معه، وقالت مدافعة عن نفسها بهذا الصدد: (أحسست كما لو أن هناك من يريد دفني حية إلى جانب سارتر)، وفي مقبرة مونبارناس إذ أحرقت جثة سارتر بناءً على وصيته وقفت تنظر إلى الرماد المتبقي بألم وذهول، وقالت جملتها التي لا تنسى للممثلة الفرنسية " سيمون سينوريه" التي كانت تصاحبها: (لقد دخل سارتر العالم الواسع حيث سبقه من قبل بودلير.. رامبو.. ماركس.. نيتشة.. هيغل، إلى آخر الراحلين). وعن تعقد العلاقة بينها وبين سارتر تقول: (الحقيقة أنني كنت منفصلة عن سارتر بالقدر الذي كنت التحم فيه مع هذه الشخصية.. كانت علاقتنا جدلية. أحياناً كنت أشعر بأنني على مسافة لا معقولة منه، وفي أحيان أخرى كنت أشعر كأنني النصف الذي يكمل النصف الآخر. أخذت منه وأخذ مني، وبالتأكيد لم أكن تابعة له).

أُتهم سارتر بأنه جعل من نفسه (السيد الصحيح) ليحكم على الآخرين الذين يختلفون معه في الرأي بالخطأ والضلال، ولكن؛ أليس هذا هو ما يفعله الجميع على وجه التحديد؟. أليس المفكرون والفلاسفة، بشكل عام، يعتقدون أن ما يطرحونه من أفكار ومفاهيم وقناعات هي الصواب؟.

اتسم أسلوب سارتر بالفظاظة والسخرية.. كان متعجرفاً في مواجهة خصومه.. لا يجامل أحداً. وقادته صراحته الجارحة إلى خضم من معارك لا تنتهي مع قوى وأحزاب وتيارات وأشخاص. فهو لم يكن ليواري كراهيته وقرفه وحقده واستعلاءه . حيثما تطلب الموقف إذا ما اقتنع . الكراهية والقرف والحقد والاستعلاء. ومفكر مثل سارتر يصدم قناعات المفكرين التقليديين، ناهيك عن الناس الاعتياديين ويسعى إلى تسفيه قيمهم التي تعارفوا عليها طويلاً، لا بد من أن يلقى معارضة واسعة ويصنع لنفسه عداوات، هو المثقف الذي عرف المثقف بالشخص الذي يدس أنفه فيما لا يعنيه. وحفلت أعداد مجلته "الأزمنة الحديثة" بافتتاحيات ومقالات، كانت معظمها فصولاً من المعارك الأدبية والفكرية ضد الأقربين والأبعدين،وتلك كانت سمة حيوية المناخ الفكري والثقافي الفرنسي خلال أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن المنصرم. ومن عشرات النماذج يمكن أن نأخذ نموذجاً واحداً عن أسلوب سارتر الفظ في الرد على مناوئيه.. يكتب في مقال "رد على بيير نافيل": (مقال نافيل صفر. لكنه صفر سام. لذا فقد رأيت أنني أحسن صنعاً إذا تكلمت عنه. لقد تعودت على الاعتداءات المسلحة: إنني أُقتل، تسرق مني صرة نقودي وشرفي، ثم يتوارى الفاعل. لكنني أُبعث حياً، والرصاصة أو السكين لم تترك في أثراً. منذ بضعة أسابيع أعلنت "دومان" بعناوين كبيرة:"سارتر خان". وقد أجبت؛ ان روسيه ليس من الناس الذين يرد عليهم، وأحرى بنا أن نتركه يكسب معيشته كيفما يستطيع).

وسارتر من المفكرين القلائل، عبر التاريخ الذين استدرجوا شرائح واسعة من البشر لينغمسوا في النقاش الفلسفي، وينشغلوا بالقضايا الكبرى لعصرهم عبر رؤية متعمقة وناقدة. وكان مثالاً حياً لذلك المثقف الملتزم بمواقف إزاء المستجدات السياسية والاجتماعية والثقافية. وكانت الحرية أس فلسفته الوجودية وشغله الشاغل. ولذا صار في مواجهة محتدمة مع الفاشية والنازية والنظريات الكليانية بما فيها الشيوعية، على الرغم من عدّه الماركسية فلسفة العصر التي لا تضاهى.

ربما لم يكن بمستطاع سارتر أن يتنبأ بما سيكون عليه العالم بعد ربع قرن من وفاته . توفي في العام ١٩٨٠ . فهو ما كان عرافاً ولم يدّعِ أنه يعرف ما سيحصل في أعماق المستقبل، لكن ثمة إشارات هنا وهناك في مؤلفاته تشف عن رؤية ثاقبة وقراءة ناقدة لا تغفل اتجاهات حركة البشر، واحتمالات نتائج تفاعلات القوى المتصارعة في الساحة السياسية والاجتماعية.. كتب في العام ١٩٤٧ يقول؛ ((إن الشيوعيين لم يكونوا قط أقوياء كما هم اليوم في أوروبا، ومع ذلك لم تكن فرص الثورة ضئيلة قط كما هي اليوم)). وفي السنة ذاتها في المقال عينه يقول؛ ((هناك دولتان عالميتان، ليست أي منهما بورجوازية، وليست أي منهما أوروبية، تتنازعان على امتلاك العالم. وانتصار إحداهما معناه تسلط الدولة البيروقراطية الأممية. وانتصار الأخرى معناه قيام عهد الرأسمالية المجردة)).

يتجلى قلق سارتر في توسيع أفق الذات الإنسانية وإخراجها من محدوديتها، وهنا نتلمس المغزى العميق لمقولته الشهيرة ((الجحيم هو الآخرون)) بحسب تأويل سيمون دي بوفوار، أو على وفق عبارتها: (توسيع مساحة الفرد الذي يعيش داخل الحصار). وها هو كولن ولسن يجد أن البحث في أسس سارتر الفكرية يقودنا إلى اكتشاف أن جميع مؤلفاته ما هي إلا احتجاج ضد محدودية الإدراك البشري.. يقول ولسن؛ ((حين يتساءل روكانتان . بطل رواية الغثيان . " لماذا أنا هنا" فإنه يسأل أيضاً: لماذا يكون إدراكه محدوداً بحيث أنه لا يستطيع أن يجيب عن ذلك السؤال؟). أراد سارتر فتح مساحات إضافية للوعي البشري كي يرى لنفسه نطاق حرية أرحب، وكان يشمئز من الجمود العقائدي الذي يحبس الوعي ويحدد الممكنات الإنسانية.

تروي سيمون دي بوفوار مشهداً من واقعة زيارة له للاتحاد السوفيتي السابق، وكذلك يرويه هو في الجزء السادس من مواقف والمعنون ب "شبح ستالين" إذ سأل أحد الكتاب السوفيت المحتفين به عن كافكا، ولماذا لا يترجمونه فقال سارتر؛ ليس لنا علاقة به بعد أن تبناه المثقفون البورجوازيون، وشوهه نقد الغرب حتى صار يبدو وكأنه عدو لنا. فقال لهم؛ (عليكم استعادته منهم، فالمناهج النقدية الماركسية تذهب في التفسير إلى أبعد مما تذهب إليه مناهج النقاد الغربيين). وهذا يشبه موقف لينين بعد ثورة أكتوبر حين كان يستقبل عدداً من الأدباء الشباب فسألهم فيما إذا كانوا يقرؤون بوشكين. فقالوا له: لا يا رفيق، بوشكين بورجوازي، نحن نقرأ لشاعر الثورة مايكوفسكي. فابتسم لينين ساخراً وقال: أما أنا فأفضل بوشكين.

واليوم ماذا تبقى من سارتر؟. وماذا تخلفت من الوجودية باتجاهاتها كافة في أفكار ورؤى المعاصرين؟. هل من حقنا القول إن فلسفة سارتر مضت معه، كما قال ميشيل فوكو، وأننا لسنا مدينين بشيء لذلك المفكر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في مرحلة حرجة من تاريخ العالم الحديث؟. يقال أن سارتر في أواخر أيامه كان يشعر أنه وصل إلى طريق مسدود، فيما اعترفت سيمون دي بوفوار بأنها (كانت مغشوشة) فأثارت حفيظة الزعيمات والناشطات في حركات تحرير المرأة التي استلهمت مبادئها من كتابها "الجنس الآخر".

والآن؛ هل يمكن العودة إلى سارتر واستعادة فلسفته؟. ما الذي نجنيه من هذه العودة وتلك الاستعادة؟. هل من ضرورة في أن تقرأ الأجيال اللاحقة لجيل سارتر مؤلفات سارتر؟.

سارتر هو الفيلسوف الأخير.. هذا ما قاله فوكو . المفكر الفرنسي . صاحب "الكلمات والأشياء" و"المراقبة والعقاب" و"أركيولوجيا المعرفة" وغيرها من الكتب، وقال؛ إن فكر سارتر والوجودية آخذان في التحول إلى أشياء متحفية.

ولكن الوجودية، وفي ضمنها فلسفة سارتر ، هي جزء من تراث فكر الغرب والإنسانية، وأنه لا يمكن أن يجري الحديث عن ثقافة القرن العشرين وأن تهمل الوجودية وأن يهمل فكر سارتر. كما أن سارتر بمنهجه النقدي يعد حلقة في تلك السلسلة العظيمة التي بدأت مع ديكارت وكانط وهيجل وماركس، ولم تنته، لا شك، مع فوكو وهابرماس وإدوارد سعيد وجاك ديريدا وغيرهم، إذ يعيد العقل، ليس الغربي فحسب، النظر بمقولاته ويراجع مسلماته ويجدد رؤيته إلى الإنسان والزمان والعالم.

فسارتر كالآخرين خرج من تحت معطف العقلانية الأوروبية، وقيم وتقاليد وأفكار عصر الأنوار الأوروبي "فهو سليل أولئك المفكرين الأفذاذ الذين دافعوا عن فكرة الحرية واستقلال الذات الإنسانية، وسلطة العقل، وقيم العدالة والمساواة.

ادباء البصرة ومشروع كتاب (المدى)

البصرة- عبد الحسين الغراوي

منذ ان اختطت مؤسسة المدى مسيرتها الصحفية والثقافية استطاعت ان تعزز تطلعاتها لبناء ثقافة عراقية جدية مبنية على النهج العلمي السليم لخلق أفق ثقافي عراقي مفتوح الفضاءات على ثقافات العالم الحديث، لذا يأتي مشروعها الثقافي الشهري حلقة مكملة لرسالتها الثقافية والصحفية. وقد وجد اصدارها للكتب العلمية والأدبية والثقافية والفكرية ضمن مشروعها حيث يوزع كتاب شهرياً مع جريدتها المدى إقبالاً لدى القراء من خلال متابعاتهم لهذا المشروع الحضاري المهم، ذلك ان هذا المشروع أسس وعياً ثقافياً ناضجاً وأوجد له قاعدة واسعة من القراء المهتمين بالشأن الثقافي والادبي. وقراء مشروع المدى الثقافي من ادباء ومثقفي البصرة تحدثوا عن هذا المشروع وفقاً لمتابعاتهم ومقترحاتهم وتصوراتهم المستقبلية لإنضاج هذا المشروع الحيوي. القاص مجيد جاسم العلي- رئيس اتحاد ادباء البصرة الجديد قال:

احيي باعتزاز كبير مؤسسة المدى التي عرفناها جيداً ومشروعها الثقافي هو رافد من روافد الابداع وهو انفتاح جديد يخدم الثقافة العراقية ويخدم الادباء فشكراً للمدى والقائمين على انجاح هذا المشروع الثقافي الذي يحمل الينا كل نتاج ابداعي مفيد.

القاص محمد سهيل احمد/ الامين العام لاتحاد أدباء البصرة:

- عهدنا المدى سباقة في مشاريعها التي تغني الثقافة العراقية وهذا ليس غريباً، هذه مؤسسة رصينة، وهذا المشروع هو رافد لاغناء الثقافة العراقية ومصدر مهم لادباء العراق.

الشاعر عبد الكريم البصري: هذا المشروع المتكامل والفعال يؤدي بالضرورة الى ابراز الجانب الثقافي للاديب. واتمنى ان تنتهج مؤسسات اخرى معنية بحركة لابداع العراقي توجهات مؤسسة المدى نفسها واصرارها على دعم القارئ ثقافياً.

القاص والباحث الاقتصادي عبد الجبار الحلفي:

- مشروع الكتاب الثقافي الذي تصدره مؤسسة المدى- هو مشروع يعمق من الثقافة ويشكل تطلعاً مستقبلياً للثقافة العراقية، لان معظم المنشورات فيها ترجمات وروايات وقصص عراقية وعربية وعالمية وبالتأكيد فان هذا المشروع يؤدي الى خلق جمهور واسع من الشباب خاصة وان الذين لم يطلعوا على النتاج العالمي سوف يترك لديهم اثراً فكرياً وثقافياً كبيراً وخاصة فئة الشباب ، لان الادباء الاكبر عمراً اطلعوا على هذه الترجمات والكثير من الكتب لم تتم ترجمتها خلال فترة النظام السابق واتمنى من المدى التأكيد على طباعة النتاج العراقي الرصين الذي سوف يؤدي الى تعميق الثقافة العراقية.

القاص قصي الخفاجي:

- هناك راي للدكتور الناقد جابر عصفور يقول فيه:

لو عندنا رجل في مصر مثل فخري كريم لانقلب حال الثقافة، وهذا اعتراف مهم من ناقد مصري. وقد استطاعت المدى إيصال العقل الاوربي عبر الكتاب والمنشور الى الذائقة والعقلية العراقية والوصول بالحساسية الجديدة التي لم تلامسها الذهنية العراقية.

الشاعر عبد السادة البصري وصف هذا المشروع بقوله: انه مشروع ثقافي حضاري جيد وممتاز ومقترحي هنا تطوير هذا المشروع الى ان يكون (كتابين) او اكثر في الشهر لأنه موسوعة ثقافية وادبية وفكرية واسعة نهضت بها مؤسسة المدى الثقافية.

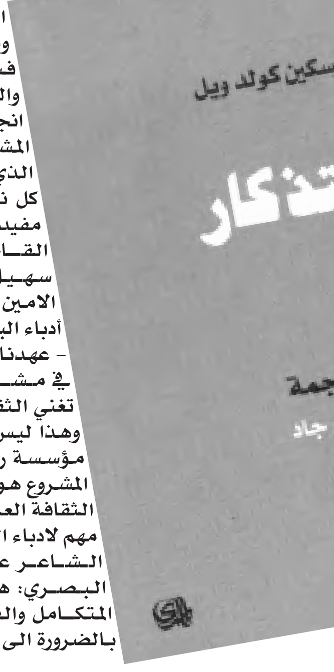

تعقيب على مقال

العودة الى المسرح العراقي

علي عبد النبي الزيدي

لا شك في ان الحياة الثقافية عندنا في العراق تعيش وضعاً مضطرباً وغريباً، بين بطولات ثقافية كانت وبين عضلات جديدة تبدو بارزة اليوم، تشهر بوجهك كلما حاولت ان تقول بأنك ما زلت حيا وسط عالمهم الذي قد لا تنتمي اليه الا بظلك، بل قد يصل الامر عندما تتحدث بجرأة ليست بجديدة عليك، يحاول البعض ان يضع هذه الجرأة في وعاء الاتهامات، ويرى انها قد جاءت متأخرة، في حين ان نتاجك الادبي وصيحاتك وصرخاتك ليست بخافية عن الحياة ما قبل التغيير وما بعده. ورداً على مقالة الناقد عبد الخالق كيطان المعنونة (عودة الى مسرح الصورة.. لماذا كل هذا التجني) والمنشورة في جريدة المدى العدد ٤٢٣ في ٢٧ / ٦/ ٢٠٠٥ وهي مقالة يرد فيها على مقالة لي نشرت في صحيفة الصباح الجديد العدد ٣٢٩ في ١٨/ ٦/ ٢٠٠٥، رداً، ان الواقع الثقافي في العراق هو اكثر مفاصل الحياة هنا تضرراً، بل نجد اننا نعيش داخل امتداد لذلك الخراب الثقافي الذي عاش في حضن سلطة الثقافة الامية. وما بين الحقيقة والطرف الآخر تبرز الكثير من التقولات التي يحاول اصحابها ان يرتدوا ازياء فرسان من القرون الوسطى، ولكن الضحايا دائماً يلتزمون الصمت والصبر الجميل لانهم تعودوا عدم الدخول في مهاترات المقاهي وثرثرات اروقة المؤسسات، وهكذا يزداد الفرسان وتتصاعد ارقام الضحايا .ومن بين تلك الضحايا يقف امامنا (المسرح العراقي) بكامل تاريخه كعجوز اصابت التجاعيد وجهها اصابات قاتلة، وهو الان ينتظر رحمة القبور الاخيرة، واعني وزارة الثقافة!

وبالرغم من انني احاول قليلاً ان اضع لتصوراتي بعض التبريرات من قبيل التخفيف من شدة احكامي على القادة الصغار في ثقافة المؤسسات سيئة السمعة، ولكن المشكل ان الوضع يزداد سوءاً بل يغرق في القشور ويترك الروح جانباً، فمقال الناقد عبد الخالق كيطان يشير بوضوح لهذا النوع جوهر ما اشارت اليه مقالتي في جريدة (الصباح الجديد) اذ كنت ومازلت من المؤمنين تماماً بتجربة مسرح الصورة في العراق، وقلت في امكنة وازمنة ومناسبات ومقالات مختلفة ان مسرح الصورة قلب المسرح العراقي وبث فيه روحاً جديدة، كيف اتنازل عن طروحاتي كما يقول الصديق الناقد، ومقالي يؤكد بوضوح على (استخدام) مسرح الصورة كوسيلة من وسائل سلطة المؤسسات الثقافية حاله حال العديد من الاستخدامات(صحف، قنوات تلفزيونية، اذاعية، نشرات، مجلات، شراء ذمم... الخ) في زمن لا يمكن لنا ان نبرئ ساحة من صنعته المؤسسة وبات احد اعمدتها واركانها المهمة، هذا الاستخدام الذي يسير في خطوط متوازية مع سياسة الدولة في تهميش الآخر، احتضنته وراحت تدعو اليه في اهم جامعة عراقية وهي جامعة بغداد وارقى كلية وهي كلية الفنون الجميلة، اضافة الى الفرقة القومية وهي فرقة تابعة اصلاً لوزارة الثقافة وسواها من الفرق والتجمعات التابعة لدائرة السينما والمسرح.

مقالتي تشير الى (التطرف) لا الى الفن المعتدل، وتؤكد على قضية (التلقي) التي طالما قلنا وصرخنا وصرحنا بأنها اهم اشكالية في العملية المسرحية، والكل يتفق على ان المسرح قائم على فعالية التلقي، وكراسي قاعات العروض ليست هي البديل عن المتلقين. وانا أدعو الناقد عبد الخالق كيطان الى النظر بعينين واسعتين الى الحال الذي وصل اليه المسرح العراقي، سيرى بأنني فعلاً ادعوه للبكاء معي على تلك الاحلام والامنيات بمسرح يكون لصيقاً بالناس ويحمل همومهم وتطلعاتهم، ولا يغادر مناطق جماله اطلاقاً، ولكن الجمال المتوازن، الخالق، الواهب، المؤثر في حياة الناس، لا المنعزل الغارق في سبات طويل. وعندما يكون الحديث عن فعل التلقي لا يعني الركون الى القبلية والعودة الى ظرف انتاج عقود بعيدة، ولماذا تفهم بهذه الطريقة، بحيث يمكن قياس الآخر بأنه قبلي في تلقيه في حين يضع كاتب المقال نفسه من حملة راية الفكر المغاير ومن جماليي هذا العصر ويوصم الاخر بالعار.

ان حواجز كثيرة صنعت وسواتر كونكريتية بنيت، واثار قبح انتشرت وغادر كل المتلقين مقاعدهم باتجاه عروض شارع اكثر تأثيراً، بات المسرح العراقي اليوم بلا متلقين، فمن المتهم؟ من كان وراء كل هذا الموت وهذا الالغاء المؤلم لحياة واسماء وتاريخ هذا المسرح؟ ان من بين سبعة وعشرين مليون عراقي هناك (الف) عراقي فقط يتوزعون على خارطة العراق من يشاهد او يتلقى عروض المسرح وهم -بالتأكيد- من الفنانين وبعض الادباء تحديداً. وعلى الناقد عبد الخالق ان يعود بذاكرته الى سبعينيات القرن الماضي وليقل كم عدد من يشاهد المسرح انذاك، وهناك احصائيات بهذا الصدد لعروض فرقة المسرح الفني الحديث وحدها، سترى ان الفارق يدعو هو الاخر للبكاء، فمن كان السبب؟

وادعوك مرة اخرى واخرى لكي ترى افكار واعمال شباب المسرح الذين يتخرجون الان من كلية الفنون الجميلة في قسم المسرح، كيف يفكرون، سترى ما فعله الفهم (القشوري) لمسرح الصورة وستجد ان هذا المسرح قد تلاشى، ما بقي منه مجرد بقايا او ملامح، حاله حال مسرح التعبئة الذي جئت به كمقارنة في مقالك للذي يذهب والآخر الذي يبقى.

أتابع ومن زمن بعيد ما يجري في ساحة النقد العراقي، وكنت اضع المئات من علامات التعجب والاستفهام والسخط امام تلك الاسماء التي لا تحترم نفسها والتي تعيش حالة من الازدواجية لم تشهدها ساحات النقد في العالم، فماذا يعني ان تمتلئ الصحف بدراسات ومقالات عن (مسرح الثورة والقادسية ومسرح الحرب وام المعارك) وعن مسرحية (زبيبة والملك) وتصبح هي سيدة المسرح العراقي ويمسي مؤلفها ومخرجها النجم الساطع في سماء المسرح الوطني، وأحيلكم الى العشرات العشرات العشرات من هذه المقالات في الصحف المحلية والمجلات الادبية، ونحن نعرف تماماً ما وراء تلك الدراسات الفجة والمعيبة والمضحكة، ولكن المبكي ان هؤلاء هم انفسهم الذين ينظرون في الفعل الجمالي ويتسيدون ساحات النقد المسرحي عندنا، ويريدوننا بالمقابل ان نثق برؤاهم وآرائهم وتنظيراتهم، ولا ادري فعلاً كيف يلتقي الجمال بالقبح في ان واحد، ولماذا لا يغادرون عالمنا المسرحي ويتركوننا ننظف خشبات المسارح وساحات النقد من ايامهم التي لا يتمنى أي احد ان تعود.

يتعكز الصديق الناقد على بعض الاسماء مثل المخرج ناجي عبد الامير وباسم القهار وسواهما.. من الذين تركوا الوطن وخرجوا الى تلك المدن البعيدة، في حين ان تجربتهما استفادت من تجربة مسرح الصورة ولكن خطوطها الابداعية تنتمي لهما، وهما نموذجان لمسرح ندعو اليه دائماً، لا ان يتحول ذكرهما وغيرهما فرصة لجلب الادلة القاطعة على نزاهة (مسرح الصورة) مائة بالمائة.

يحاول السيد عبد الخالق كيطان في مقالته ان (ينسف) تاريخ المسرح العراقي، ويجعل من تاريخ (مسرح الصورة) التاريخ الحقيقي لمسرحنا، من قبيل ان (عروض الصورة) صاحبتها الكثير من الصرخات النقدية والتقولات واثارت جدلاً عارماً في الوسط الثقافي العراقي، وانا لن افعل شيئاً، فقط سأحيلك الى مسرحية (النهضة) لمؤلفها ومخرجها الرائع (عباس الحربي)، وعليك ان تكون محايداً امام هذه المسرحية (الشعبية) التي أثارت في الوسط الثقافي والشعبي ما اثارت، وكتبت عنها اكثر من خمسين دراسة ومقالة، ووصلت شهرتها الى محافظات الجنوب وبات الحديث عنها في كل مكان، هي مسرحية شعبية بسيطة، استطاعت ان تشتغل في منظومة جمالية مؤثرة في فعلها، وخاطبت الجميع بلغة رائعة، هذه حقيقة، وبالمقابل من يتحدث عن عروض مسرح الصورة؟ من؟ (انا وانت فقط) لا احد غيرنا، وعباس الحربي هو واحد من الذين تاثروا بمسرح المبدع الكبير عزيز خيون، عزيز، الذي لم ينصفه المسرح العراقي إطلاقاً، بل كان يعيش في غربة لا حدود لها، وكان يمكن لمسرحه ان يكون اكثر تأثيراً من مسرح الصورة لولا ان الدولة كانت تعي جيداً ماذا يعني هذا النوع من الخطابات، لذلك ارتضى هذا المبدع لعروضه وعروض سيدة الالتزام المسرحي عواطف نعيم أمكنة اخرى من خارج الوطن بعيداً عن خناجر الدولة والنقد العراقي.

هل يمكن للمسرح العراقي ان يعود الى عمقه واسمائه ومخلصيه ومتلقيه؟ وهل يعود نقاد مسرحنا الى وضعهم الطبيعي ويشخصوا الخلل الحقيقي، وتبدأ انطلاقة جديدة بعيداً عن ما تخفيه القلوب من أمراض واحقاد وسواها، ويستفيدوا من دروس المرحلة السابقة، ويجندوا اقلامهم لمسرح الشعب لا مسرح السلطة وزبيبه والملك، ام أسمعت لو ناديت حياً؟